

بسم الله الرحمن الرحيم

آفاق قراءة النصوص السردية العربية

المحاضرة السابعة

تمهيد:

شهدت الخطابات النقدية الغربية إنتاجية هائلة لمجموع الآليات الإجرائية لمقاربة النصوص السردية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يتأكد أمام هذا الوضع ظاهرة تخص السرد في حد ذاته، فقد شهد هذا الأخير اتساع مجالاته وسندنا في هذا الطرح هو اعتراف يان مانفريد والذي مفاده اتساع دائرة السرد وامتدادها إلى خارج حدود الأدبي بجملة: " السرد في كل مكان"¹، وفي زاوية أخيرة من الطرح، يمكننا الإقرار بأن السرد وعلى وجه أخص المتخيل السردى العربى قد عرف إنتاجية تميزت بالغزارة والكثافة في ربوع الوطن العربى على مدار مرحلة العصر المعاصر.

انطلاقاً مما سبق تتأكد أهمية العلاقة بين آليات المناهج النقدية الغربية وبين آفاق قراءة النص السردى العربى المعاصر، ومن هنا يتبلور سؤالنا الجوهرى لهذه المحاضرة، وعليه،

ما هي آفاق قراءة النصوص السردية العربية المعاصرة؟

يمكننا المساءلة عن آفاق قراءة النصوص السردية العربية المعاصرة انطلاقاً من قطبين رئيسيين هما: قطب الآلية الجديدة، وقطب السرد المعاصر. أما تفصيلنا للآليات الإجرائية لمقاربة المتخيل السردى فسيبدأ أولاً بالقطب الأول والمتعلق بآفاق قراءة السرد من خلال آفاق ميلاد الجديد من الآليات الإجرائية، وفي هذه النقطة يمكننا الإقرار بأن المناهج النقدية الغربية المعاصرة ما زالت وإلى غاية إلى يومنا هذا تحتفى بالمزيد من إنتاجية الآليات الإجرائية لمقاربة السرد، فجون ميشيل آدم استطاع أن يحقق نظرية في السردية تهتم بالسرد

العادي المنطوق أو الشفوي، وذلك من خلال تنزيهه " ضمن الحوار ودورات الكلام "مستفيدا من نظريات السرد عند الشكلايين الروس والمدرسة الفرنسية متعديا إلى التقديمات الأمريكية في نظرية السرد بزعامة لابوف ووالتركي، في إطار العزم على رصد قضايا السردية ضمن المجال الشفوي في استحضار واضح للمتلقي ضمن ما يعرف ببراغماتية التواصل القصصي². ومما يمكن الإشارة إليه في هذه النقطة تحديدا هو أن النماذج السردية الشفوية عديدة ومتنوعة، فهل يعول فحسب على تقديمات فلاديمير بروب لمقاربتها؟ هل يمكن استحداث تنوع في الآلية الإجرائية لمقاربة هذا السرد الشفوي؟

وفي زاوية أخرى من الطرح تطالعنا آفاق جديدة على مستوى المناهج السيميائية لمقاربة المتخيل السردية، حيث شهد العالم الغربي ميلاد سيمياء المواقف، وهي آلية تقرأ سيميائيا السلوك المتولد من خلفية نفسية ناتجة عن بعض المواقف السلبية التي يمكن أن يكون قد تعرض لها البطل في حياته.

إن مستقبل آفاق قراءة النصوص السردية العربية مرهون بتحديث آليات المناهج النقدية والنموذجين السابقين لا يمثلان سوى بعض العينات من التجديد على مستوى الآلية، إذ ما يزال الراهن النقدي يشهد على المزيد منها والذي يستحيل حصره وإحصاؤه في هذه الأوراق.

أما تفصيلنا للقطب الثاني والمتمثل في آفاق قراءة النصوص من خلال الجديد من السرد العربي المعاصر، يمكننا القول عنها أنها إنتاجية عرفت من الغزارة والكثافة الشيء الكثير على مستوى السرد العربي المعاصر، وفي كل ربوع القطر العربي من مشرقه ومغرب، هذا السرد الذي عرف تشجيعا أفضت إلى منافسة إنتاجية عززتها عديد جوائز ترصد لأفضل السرود العربية، وعلى رأسها مسمى البوكر وغيرها.

إن هذه الغزارة والكثافة إن دلت على شيء فإنما أرادت أن تعكس مقولة أن المتخيل السردية العربي المعاصر وخاصة الجديد منه، ونقصد بهذا مجموع ما أنتج في الألفية الواحد

والعشرين وأواخر القرن العشرين إنما أراد أن يفرض أهميته، وهذا ما تثبته جملة جون ميشيل آدم حيث يقول " إن صور السرد الأكثر تنوعا باتت تسم كافة مجالات وجودنا"³، إنه عصر السرد، هذا المتخيل السردى المعاصر وهو يشهد اختلافا من حيث المنطلقات، الرؤى، الغايات، وأهم الأهم طرائق السرد أو كيفية السرد، فبات لزاما الكشف عن ذلك من خلال الاشتغال على السرد مقارنة لكشف ما يختفي وراء السرد من رؤى، وطرائق، وتقنيات وقناعات، وربما فلسفات.

يمكننا تقديم بعض من النماذج السردية العربية المعاصرة، ومنها نذكر كتابة يوسف زيدان في معطاهها الفلسفي وهي تتطرق إلى المسألة الدينية والتعددية الدينية من وجهة فلسفية، أو الطاهر وطار وهو ينطلق من فكرة التداخل الزمنى بدلا من البنية الزمنية التي اقترحها جيرار جنيت، وكذا الشخصية الفكرة بدلا من الفكرة الرمز أو الشخصية المبنية على الطريقة النبوية فهي تحظى باهتمام وتأصيلات السيميائية فيها بشكل أفضل مما قدمته عنها النبوية. أو الرواية البورتريه المتأثرة بالكتابة الصحفية والتسجيل والتأريخ والتاريخ مع جمال الغيطاني مع مجموع السرود لديه موزعة فيما بين القصة والرواية، وعلى رأسها جميعا الزيني بركات.

وفي زاوية أخرى من الاختلاف يطالعنا سرد الخيال العلمى الذى تمثله رواية حرب الكلب الثانية لنصر الله ابراهيم، وهناك الرواية النفسية ونموذجنا هو رواية أحلام مستغانمي التي تأسست على مجموعة من الرسائل، فهل يمكن القول أن هذا الأنموذج السردى يشيد بأنطولوجية سيكولوجية الرواية حيث يتم النظر إلى رسائل المتخيل السردى كملفوظ سيكولوجي، مع التنويه إلى أن سيكولوجية الرواية قد أثبت لها الغرب في تنظيراته النقدية عندما يتم التعويل على الرسالة لمقاربتها من الوجهة السيكلولوجية، وقد أشاد بهذا قبلا تودوروف في مقال من مقالات السرد الأدبي.

أو يمكننا حتى مقارنة رواية أحلام مستغانمي من خلال سيمياء المواقف طالما أنها تستند إلى فعل ورد فعل، منبن أساساً من وجهة سيكولوجية. أو ربما يتم من خلال المتخيل السردى رصد مجموع المخاوف التي تعتري النفس البشرية، والتي ربما قد يصل بها الحال في نماذج أخرى إلى حد الرهاب، وفي هذا الباب نذكر رواية ألواح ودر لخيرى العمري. وأخيراً يمكننا إضافة آفاق السرد الجديد وهو يكتسي أهمية عندما يتعلق الأمر بالتخيل السردى وهو يستكنه طروح العجائبي والغرائبي في أفقيته، ممثلاً في رواية شعيب حليفي والطاهر وطار من خلال الحوات والقصر.

وبالإضافة إلى ما ذكر، تبقى آفاق قراءة النص السردى العربى المعاصر مرهونة بانشغالات السرد فى حد ذاته فقد بات الكلام عن تحديث السرديات ومنها سرديات المنفى / سرديات الجسد / سرديات الهويات المزدوجة / التى بدأ الاشتغال عليها مقارنة .

إن السرد لم ينقطع كما أن الآليات النقدية لم تنقطع، لتكون فى نهاية المطاف آفاق السرد العربى المعاصر وذاك من خلال الكشف عن مجموع التطويرات الحاصلة مع السرد المعاصرة من خلال الاستفادة من الآليات الإجرائية لمقارنة النصوص السردية العربية المعاصرة أنموذجاً.